الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية الشريعة والاقتصاد

قسم الفقه وأصوله

الملتقى الدولي حول: "المدينة والتطور العمراني في ضوء فقه العمران والاجتماع البشري"، المنظم من طرف الكلية بالتنسيق مع قسم الفقه وأصوله، والمنعقد يومي الأربعاء والخميس 24 و25 شعبان 1442هـ الموافق 07 و08 أفريل 2021م

أثر البعد البيئي في التخطيط العمراني وتشكيل هوية المدن الإسلامية القديمة

د: سليم زاوية

أستاذ محاضر ب بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

ملخص

أنشئت المدن الإسلامية بكل تكويناتها العمرانية والمعمارية في توافق تام مع أحكام البناء التي أقرّها الفقهاء، وتوجيهات التهيئة العمرانية الرشيدة التي كانت سابقة لزمنها من حيث أسلوب تخطيطها العمراني الذي يقوم على التوازن بين الأنظمة الحيوية المنتجة للمدينة، ومبدأ التنمية الحضرية المستديمة.ومن بين معايير هذا الأسلوب الذي استحدثه الإسلام في البناء والتخطيط والتدبير والتي سنحللها في هذه الورقة البحثية نجد:

- اختيار مواقع بناء المدن تخضع لشروط الصحة وحماية البيئة.
- وضع نسيج عمراني منسجم مع خصوصيات البيئة الطبيعية المحلية لكل مدينة.
- تدبير (تهيئة وتسيير) المجال العمراني من منظور التنمية المستدامة.

فأهمية البعد البيئي في إنتاج الأطر العمرانية الإسلامية كانت تبدأ من اعتناء الفقهاء بالحفاظ على البيئة انطلاقا من النصوص القرآنية والسنية الواردة في الحث على حفظ العمارة ومنع التخريب، ثم من خلال الاجتهاد في استنباط أحكام تؤطر العمران في ضوء الشروط البيئية السليمة.فبنوا مدنا على قاعدة دفع الضرر، وحددوا الضرر المتوقع من زاوية تأثيره على ضروريات الناس في الحياة.فوضعوامجموعةمنالضوابطالشرعيةتحكمالعمرانفيبيئةالمدينةالإسلاميةتوجب حفظها وعدم إلحاق الضرر بها، واعتبروا البيئة الحصن الواقي لاستمرار الحياة البشرية فيها.

وتبرز أهمية البيئة في بناء المدن الإسلامية القديمة ما ثبت على الوالي الحجاج أنه لما عزم بناء مدينة **واسط** في العراق كلف عددا من الأطباء أن يختاروا موضعا لها، فبحثوا حتى عثروا له على موقع ووصفوه له بأنه أوفق من موضع **الكوفة** في خفوف الريح وأنف البرية.

نحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة بالتحليل والتبيان لهذا النوع من التخطيط العمراني الذي سبقت به المدينة الإسلامية عصرها، وذلك من خلال المحاور التالية:

1. مفهوم التخطيط البيئي في فقه العمران الإسلامي
2. أهمية البيئة في فقه العمران الإسلامي
3. الضوابط الشرعية التي تحكم البيئة داخل المدن الإسلامية
4. البعد البيئي في التخطيط العمراني للمدن الإسلامية من جوانب:
   - اختيار مواضع بناء المدن
   - تخطيط المواضع العمرانية
   - تدبير المجال العمراني من الناحية البيئية.

Summary

The Islamic cities with all their urban and architectural compositions were established in a full compliance with the building provisions approved by the juristsand by the urban development directives, that preceded its time by adopting an urban planning method based on the balance between the vital systems producing for the city and the principle of sustainable urban development. Among the standars for this planning method developed by Islam in building, planning and management we find:

- The selection of building areasthat have the health and environmental protection requarment.
- Placing an urban fabric in harmony with the peculiarities of the natural environment of each city.
- Managing (preparing and managing) the urban space according to the requirements of the sustainable development.

The importance of the environmental horizon in the production of Islamic urban frameworks started with the care of juristsabout the preservation of the environment. Their care was based on the texts of Quran and Sunnahthat urge to preserve architecture and prevent vandalism.And then, by the diligence in devising provisions that frame the field of urbanization under the environmental conditions,So they built cities on the basis of avoiding damage, and they identified the damage expected in terms of its impact on people's necessities in life,so they set

certain conditions sharia that control governing urbanization in the Islamic city environment that had to be preserved and not damaged, and they considered the environment to be the protective bulwark for the continuation of human life there.

The importance of the environment in the ancient Islamic construction of cities isappeared bywhat was provenby the governor al-hajjajwhen he intended to build the city of wasit in Iraq, he commissioned a number of doctors to choose a place for it, so they searched until they found him a site and described him as a horizon from the position of Kufa in the wind and the nose of the wild.

In this research paper, we try to answer by analysing and clarifying this type of urban planning in which the Islamic city preceded its era, through the following axes:

- 1. The concept of environmental planning in the jurisprudence of Islamic urbanism
- 2. The importance of the environment in the jurisprudence of Islamic urbanism
- 3. Sharia controls that govern the environment within Islamic cities
- 4. The environmental horizen in urban planning for Islamic cities in terms of:
- Choosing where to build cities
- The planning of urban area
- Managing the urban area from an environmental side.

مقدمة:

أنشئت المدن الإسلامية بكل تكويناتها العمرانية والمعمارية في توافق تام مع أحكام البناء التي أقرّها الفقهاء، وتوجيهات التهيئة العمرانية الرشيدة التي كانت سابقة لزمنها بانتهاجها أسلوب تخطيط عمراني قائم على تحقيق التوازن بين الأنظمة الحيوية المنتجة للمدينة، وتوجهها توجيها مستديما جعلها رغم اختلاف أقاليمها وعصورها، وبنياتها الاجتماعية، تتسم بسمات وهوية واحدة. ومن بين هذه المعايير التي استحدثها لإسلام في التخطيط والبناء والتدبير الأثر البيئي في إنتاج الأطر العمرانية الجديدة.

فأهمية البعد البيئي تبدأ من اعتناء الفقهاء بالحفاظ على البيئة انطلاقا من النصوص القرآنية والسنية الواردة في الحثّ على حفظ العمارة ومنع التخريب، ومن خلال الاجتهاد في استنباط أحكام تؤطر مجال العمران في ضوء الشروط البيئية السليمة، فبنوا

مدنهم على قاعدة دفع الضرر، وحددوا الضرر المتوقع من زاوية تأثيره على ضروريات الناس في الحياة، فأكدوا على وجوب حفظها وعدم إلحاق الضرر بها، واعتبروا البيئة الحصن الواقي لاستمرار الحياة البشرية فيها[1].

وأيضا تبرز من خلال تصرفات الحاكم المسلم في بناء بيئة حضرية متوازنة وسوية تحقق الخيرية والسوية للإنسان المسلم، وهذا ما ثبت على الوالي الحجاج أنه لما عزم بناء مدينة. كلف عددا من الأطباء أن يختاروا موضع مدينة فبحثوا حتى عثروا له على موقع المدينة التي سمِّيت بـ "واسط"، ووصفوا له الموقع بأنه أوفق من موضع الكوفة في خفوف الريح وأنف البرية، وكان من وصية الحجاج أن يكون اختيار المكان على ضفة نهر، ولما وجد فريق العمل المكان المناسب أبلغوا رئيسهم بهذا فذهب إلى هناك فبات في هذه البقعة، واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها ثم رفع تقريره إلى الحجاج فبُنيت مدينة واسط.[2]

فالمتتبع لصيرورة تطور المعمار الإسلامي يتبين أنّ له مرجعية أساسية وواضحة، مصادرها التشريع الإسلامي، وقيم الفكر الإسلامي. هذه المرجعية لا تنظر إلى المدينة على أنها تشكيل حضري (مادي) وحسب، بل تعدّها تشكيلاً روحياً كاستجابة حتمية لمقصدين شرعيين رئيسين وهما: تلبية حاجة الإنسان للأمان والمأوى، وتحقيق الاستخلاف ثم العبادة، ومن هنا فالتشكيل الحضري في الإسلام كفلسفة مكانية- زمانية يستمد صيرورته من جوهر مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

فالتحليل لأسلوب التخطيط العمراني البيئي في تشكيل المعمار الإسلامي يعتمد على ركيزتين هما:

الأولى التأصيل الشرعي للعلاقة بين العمارة والبيئة: فالعلاقة هي أساسا بين الإنسان والبيئة باعتبار أن العمارة من صنع الإنسان ويتحكم فيها ضابطين هما: التسخير لعناصر البيئة، والاعتدال الذي هو شرط في استثمار موارد البيئة لقوله تعالى:**{ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** سورة البقرة: الآية 60. وهنا يكون الإنسان سيد في الكون وليس سيد على الكون وفق ثلاثة مهام مقاصدية للشريعة الإسلامية وهي: الخلافة لله في الأرض، ثمّ عبادة الله، ثمّ عمارة الأرض لقوله تعالى: **{ وإلى ثمودَ أخاهُم صالحا قال يا قومي اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}** سورة هود: الآية 61. وبالتالي قيام العمران في الإسلام مشروط بمبدأي الخلافة والعبادة، لقوله تعالى:**{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }** سورة الجاثية: الآية 13.

- فالعلاقة بين **الإنسان والبيئة في الإسلام** تدخل ضمن المحافظة على الضروريات لأن فيها حفظ للدين من خلال الإحسان للبيئة، وفيها حفظ للنفس من خلال المحافظة على الحياة البشرية، وفيها حفظ للنسل حفظ **للأجيال**، وفيها حفظ للعقل كيان **الإنسان**، وفيها حفظ للمال باعتبارها **موارد اقتصادية**.
- الحفاظ على البيئة يدخل في دائرة حسن الخلق.
- الحفاظ على البيئة يدخل ضمن الفقه من خلال القواعد الفقهية، وأشهرها قاعدة لا ضرر ولا ضرار أو الضرر يزال.
- العلاقة تدخل ضمن مبدأين: ضابط الحلال والحرام وهو متين والثاني مبدأ الحساب والعقاب وهي خير حافز للإنسان على الإحسان للبيئة.

---

[1] : مصطفى كامل الفرا ، و م .شيماء جهاد الهسي، تخطيط المدن بين المضمون الإسلامي والمضمون الحديث) دراسة مقارنة، ص 123 **IUG Journal of Natural and Engineering Studies** Vol.21, No.1, pp 123-159 **2013**, ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

[2] : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار النشر صادر، 1397 - 1993، 348/5.

1. أهمية البيئة في الفقه الإسلامي:

لقد وهب الفقه الإسلامي أهمية بالغة للتخطيط البيئي من ضمن اهتمامه بالعمارة وميزان المقاصد الشرعية؛ ولهذا الغرض خُصصت وفُصلت الأحكام الشرعية تقييداً لسلطة الإنسان وحركته بإطار الخلافة لله وأمانة الإصلاح في الأرض وعمارتها، وهكذا دخلت علاقة الإنسان بالبيئة في مراتب الضروريات والحاجيات والتحسينات في مقاصد الشرع.

وقد وردت تعاليم صريحة في القرآن الكريم ترتب العلاقة بين الثلاثي الكون والطبيعة والإنسان، والذي دعا إلى النظر والتدبر في الكون وصولاً إلى الحق المطلق كمعادلة وغاية مرتجاة، كما في قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }**سورة الأعراف الآية 96. وبحسب ذلك المفهوم فإن علاقة الإنسان مع الطبيعة تتناسب طردياً مع ازدهار العدالة في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان، أي أن مجتمع العدل والسلام الخالي من روح المنافسة وسطوة الغرائز الاستحواذية هو الذي يفجر طاقات البيئة ويتعامل معها بشكل لا يؤدي إلى سوء استغلالها بما فيها من موارد وقوى مادية تسخّر للإنسان، وهذا المفهوم تبناه الإسلام.

وعلى نفس المبادئ نشأ منهج أخلاقي في الإسلام يحدد ماهية التعامل مع البيئة الطبيعية بحجة التنمية والتوق، والاهتمام بالإنبات والتشجير، والارتقاء بالبيئة الحضرية للإنسان المجال الذي يعيش فيه ويمارس فعالياته المختلفة، وفعلا قد استطاع الإنسان بخبراته المتراكمة تهيئة هذه البيئة لتتلاءم مع جميع متطلباته، وجاءت التشريعات الفقهية والمعايير لتنظم عمليتي التخطيط والحفاظ على البيئة الحضرية[3]. حيث ورد في حديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **مَا مِن مُسلم يَغرِسُ غَرْسًا أو يَزرَعُ زَرْعًا فيأكُلُ مِنه طَيرٌ أو إنسَانٌ أو بهيْمَةٌ إلا كان لهُ بهِ صَدقَةٌ.** "[4]. فاحترام البيئة جاء ضمن الممارسة الأخلاقية في عمارة الإسلام، كونها مصدر مواد البناء التي تجسد العناصر المعمارية، وهي التي تشارك في خلق فضاءات معمارية موائمة للعيش وأجواء تراعى فيها الراحة الجسمية والنفسية.

وبما أنّ نُظُمَ بناءِ وتخطيط المدن الإسلامية القديمة مستقاة بصورة كبيرة من الشرع الإسلامي عبر ما يعرف بأحكام الملكية وحقوق الارتفاق، فالإسلام قد اعتنى بالصحة البيئية واعتبرها من الشروط المادية لبقاء الأجناس الحيّة، والتي يعتبر الإنسان بوصفه خليفة الله في أرضه مسؤولاً عن بقائها واستمرارها على وجه الصحة والعافية، تماماً كما هو مسؤول عن بقائه وبقاء أبناء جنسه، ومن هذه الركائز الأساسية للحفاظ على البيئة من المنظور الإسلامي نجد:

- النظافة والتطهير.
- الحث على إماطة الأذى أياً كان حجمه أو ضرره ولو صغيراً عن الطرق والسبل.
- الحفاظ على صحة الإنسان والمحافظة على نقاء البيئة لئلا تنشأ بؤر تصبح مباءة للأمراض المعدية والفتاكة.
- التشجير والتخضير لأن الزرع والشجر المثمر دخل في الوجدان الديني للأمة الإسلامية، وبات الفرد الصالح يشبه بالشجر المثمر، ومن أعظم الأدلة على هذه الرعاية الإسلامية للغطاء الأخضر[5]من السنة النبوية ما رواه أنس رضي الله عنه قال:

---

[3] : محمد أحمد سلام المدحجي، أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مجلة العلوم التكنولوجيا مجلد 15 العدد 2، 2012، ص: 3

[4] : صحيح البخاري 1/ 226 رقم 2320. صحيح مسلم 3/ 1188 رقم 1552.

[5]: الشيخ خليل الميس مفتي زحلة والبقاع لبنان، البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، مظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة ، ص: 16.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة** "[6].

- العمارة والتشمير: اعتبر الإسلام أن عمارة الأرض أحد مقاصد خلق الإنسان، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ " **مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فهي لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**" [7].
- المحافظة على الموارد، لقول الله تعالى: **{ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }** الأعراف: الآية 56، والإفساد يكون بالإتلاف وتفويت المنافع، أو التلويث والإسراف.
- الإحسان والمحافظة على البيئة من الإتلاف: فقد نهى الإسلام عن إتلاف أحياء البيئة أو حتى أعيانها الجامدة كالتربة والماء الجاري والراكد..سواء كان ذلك بدافع الغضب أو العبث أو الإهمال أو في العمليات الحربية.[8]

2. التشريعات الفقهية في التخطيط البيئي:

ظاهرة العمران الإسلامي هي منظومة متوازنة بين الإنسان والبيئة، وبين الإنسان والمجتمع، أطرها الفقه الإسلامي تشرع لمنظومة من الحقوق والواجبات بين أطراف هذه المنظومة لتكون البيئة العمرانية مستدامة اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا، أنتجت نسيجا واجتماعيا منسجما، وبيئة عمرانية مترابطة متساندة فيزيقيا وبيئيا، لها طابع عمراني ومعماري إسلامي في مختلف أنماطه وتكويناته العمرانية، طرزه وتفاصيله ومفرداته المعمارية.[9]

أفرزت الشريعة الإسلامية مجموعة من الضوابط الشرعية التي تحكم العمران في المدينة اللإسلامية وتأتي في مقدمتها:

- الحفاظ على الحرمات
- الحفاظ على العقيدة
- الحفاظ على كيان المجتمع
- الحفاظ على البيئة.

وبالرغم من البيئة الصحراوية التى ظهر فيها الإسلام المتميزة بالظروف المناخية الصعبة والمواردية النادرة، إلاّ أن القرآن والسنة وجهت المسلمين إلى فهم الكون الذى يعيشون فيه بمكوناته ومفرداته، وضرورة المحافظة عليه والاستفادة من موارده الظاهرة والباطنة وفهم وإدراك عناصر البيئة الطبيعية، والتعامل معها وتنميتها وربط ذلك بالأجر والثواب والأمثلة على ذلك كثيرة. فجاء فى الحديث الشريف حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ماً منً مسلمً يغرسً غرساً أوً يزرعً زرعاً فيأكلً منهً طيرًاً أوً إنسانًاً أوً بهيمةً إلاً كانً لهً بهً صدقة** " رواه البخاري. واعتبر الرسول أن غرس الأشجار وتطهير الأنهار وحفر الآبار وغيرها من الأعمال النافعة صدقة جارية.

---

[6]: رواه البخاري، الفتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، الجزء 5، ص: 22.

[7]: رواه أبوداود في سننه، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، وصححه الألباني، وأورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب المزارعة وقفاً على عمر بن الخطاب و ذكر رواية الرفع عن عمر وابن عوف بصيغة تمريض أيضاً تعليقاً، في كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضاً مواتاً.

[8]: الشيخ خليل الميس مفتي زحلة والبقاع لبنان، البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، مرجع سابق، ص: 17.

[9]: سلامة أحمد علي، العمارة الإسلامية من استقراء التراث العمراني إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامي المعاصر، مجلة العمارة والفنون العدد الاول-1- ، ص: 221.

و قال تعالى عن الممارسات الخاطئة للعمران البشرى وضررها البيئي: **{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** سورة الروم: الآية 41.

وقد تعددت مظاهر اهتمام المسلمين بالبيئة والمحافظة على مواردها الطبيعية من التلوث والاستنزاف وأضرار التغييرات البيئية، خاصة في البيئة الحضرية بتشييدها لمدن وتجمعات عمرانية بعيدا عن الموارد والثروات الطبيعية، وتحويلها لبيئات صحراوية غير معمورة بتضاريسها ومناخها القاسي وقلة مواردها الطبيعية وصعوبات الحياة بها إلى بيئات عمرانية مستدامة لا تزال تنبض بالحياة وتحمل فى نسيجها كل مقومات البقاء الاجتماعي والاقتصادي والبيئي حيث انتشار عمرانها وحدائقها وأنماطها وطرزها المعمارية وتكويناتها العمرانية، وهذا بفضل التشريعات الفقهية التي تعتبر الحفاظ على البيئة أحد الضوابط الهامة والتي نجمل بعضها في الجدول التالي:[10]

الموارد البيئية	الأدلة الشرعية	الهدف
الحفاظ على الموارد النباتية	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار.	حماية الأشجار والنباتات
الحفاظ على الثروة الحيوانية	قال تعالى: حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين أثنين / هود 40 وقال أيضا: يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم/ المائدة 95 وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذبح الشاه الحلوب فقال إياك والحلوب أخرجه مسلم	الحفاظ على أنواع الحيوانات المكونة للبيئة. الأمر بإنشاء محميات طبيعية.
الحفاظ على البيئة الطبيعية من التلوث	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملأ هن ثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل رواه أبو داوود	عدم تلويث مواقع حركة الناس ومصادرهم الحيوية. حماية الأماكن العامة. الحفاظ على التربة والهواء.
شروط اختيار مواقع بناء المدن	اشترط عمر بن الخطاب أن يكون اختيار مواقع المدن من قبل أهل العلم وأن يكون: – على طرق البادية قريبا من الماء والمراعي – أن لا تفصله عن المدينة المنورة موانع طبيعية كالجبال والأنهار.	–سهولة ربها بمحاور المواصلات –الاستفادة من امتيازات البيئة الطبيعية. –اختيار مواقع بالقرب من المياه والزراعة.
الشروط الصحية والمناخية	عند إنشاء الحجاج مدينة واسط طلب من أصحاب الرأي والدراية اختيار موقع مناسب لها على أن يكون: –المكان مرتفع وعلى نهر جاري وعذب	– اختيار المواقع المحمية – الأراضي الواسعة – وجود أراضي زراعية لتغذية المدينة

[10]: محمد أحمد سلام المدحجي، أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مجلة العلوم والتكنولوجيا، المجلد 15 العدد 2، 2010 م ع ت 7، ص: 6، 7.

	- المناخ جيد وطعامها سائغ - جودة الهواء. وسار على نهجه المعتصم بالله حين أراد بناء سامراء.	-الأنقى هواء
نفي الضرر عن الطريق	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له رواه الشيخان	-الحفاظ على البيئة والحد من التلوث.
المحافظة على البيئة من الضجيج	قال تعالى: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ لقمان	-النهي عن الضجيج بأسلوب بليغ يقبح الأصوات المنكرة.
جلب المنافع	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم بغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة رواه البخاري	-الدعوة إلى زيادة المساحات الخضراء
الخصوصية البصرية	قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾	الحفاظ على الخصوصية السمعية والتي تتحقق من خلال الحوائط المزدوجة والعوازل الصوتية والتي تساعد أيضاً على الاحتفاظ بدرجات الحرارة الداخلية بشكل متوازن بعيدة عن التقلبات الحرارية الخارجية.

3. أ ثر الفقه الإسلامي في التهيئة العمرانية للمدن العربية الإسلامية:

أن الدارس للتهيئة العمرانية للمدن الإسلامية القديمة يجد أنّ هناك منظومة قانونية مؤطرة لها، واكبت تطورات المجتمعات الحضرية الإسلامية على مدى التاريخ بالتقنين والتنظيم. فالمدن الإسلامية القديمة لم تبن على غير ميزان ولا قانون وإنما كانت خاضعة لمنظومة فقهية تجيب عن إشكالاتها ونوازلها كلما تطلب الأمر ذلك، وهذه المنظومة تدور أحكامها على قواعد فقهية مقاصدية عامة كانت محل تنزيل من قبل فقهاء العمران قديما ويمكن إجمالها في أربع قواعد:

- دفع المضار وجلب المصالح.
- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند التعارض.
- ارتكاب أخف الضررين.
- تحكيم العرف.

وفي مجال البيئة اعتنى الفقهاء بالحفاظ على البيئة انطلاقا من النصوص القرآنية والسنية الواردة في الحث على حفظ العمارة ومنع التخريب، ومن خلال الاجتهاد في استنباط أحكام تؤطر مجال العمران في ضوء الشروط البيئية السليمة، فبناء على قاعدة دفع

الضرر حاولوا تناول المجال البيئي من زاوية تأثيره على ضروريات الناس في الحياة، فأكدوا على وجوب حفظها وعدم إلحاق الضرر بها، واعتبروا البيئة الحصن الواقي لاستمرار الحياة البشرية، لذلك حاولوا إبعاد المنشآت الصناعية خارج المدينة، كما حافظوا على حريم وأفنية الدور و الطرقات بما فيها من حدائق وجنان ومياه وضبطوا ذلك كله بأحكام وجزاءات ضمنت استمرار سلامة البيئة في الحواضر الإسلامية. وفيما يلي سوف نورد بعض إجراءاتهم في هذا السياق[11]. لأن من بين المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية حفظ النفس الإنسانية من جميع جوانبها، ولما كان الجانب الصحي من أعظمها أصر الفقهاء على مراعاته في تقنينهم لكثير من أمور المدينة ومن ذلك:

– تدبير مجاري المياه:

فقد ثبت عند الخبراء أن المياه المستعملة حمالة للأضرار الصحية الكثيرة إذ هي مورد القاذورات ومجمع النجاسات لذلك نظم الفقه المالكي مجاري المياه في المدينة عبر تدابير إجرائية حيث منع إجراء مياه الدور في الطرق والشوارع ومنع من فتح كوة في سكك المسلمين لإخراج مائه في السكة إذا لحق ضررا بالجيران وبجدرانهم. وهذا كله يدل على أنهم التزموا طريقة أخرى لتصريف المياه المستعملة، ولربما هي طريقة المجاري التحتية من أنابيب وقنوات تفاديا لظهور الأوساخ وما ينجم عنها من الروائح والأذى.[12]

– كنس المراحيض وإصلاحها:

المراحيض هي أيضا كانت محل عناية فقهية خدمة لحفظ النفس الإنسانية، ففي كنسها أكد الفقهاء على وجوب ذلك، وفي حالة وقوع نزاع بين الشركاء في بئر الكنيف فيمن يتحمل مصاريف تنظيفه، أجابوا بأن نفقة ذلك توزع على الشركاء على قدر الجماجم الموجودة في كل دار. وعند كراء صاحب الدار لداره كان يفرض كنس التراب وحفرة المرحاض على رب الدار إلا أن يشترطه على المكتري.[13]

– تدبير الضوء والشمس والهواء:

لقد تنبه الفقهاء بأن الضوء والشمس ضروريان للسكن الصحي لذلك قد أجازوا إحداث الكوات والنوافذ في المنازل لدخول الضوء والشمس بشرط عدم الإضرار بالجيران: حيث سئل بعض أئمة المالكية عن الرجل يفتح الكوة في جداره مع كراهية جاره لذلك، والكوة عالية لا تنال إلا بسلم فأحاب: إذا لم يكن في ذلك ضرر على جاره فلا أرى بأسا بفتحها لأنها منفعة.[14]

– تدبير الصناعات:

---

[11]: يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب عالم المعرفة، عدد يونيو 2004، الكويت، ص: 48.

[12]: عبد الرزاق وورقية، أثر الفقه الإسلامي في التهيئة العمرانية للمدن العريقة، 2012، موقع الألوكة، الرابط: https://www.alukah.net/

[13]: ابن مغيث الطليطلي، المقنع في علم الشروط، تقديم و تحقيق فرانثيكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 1994، مدريد، ص: 229.

[14]: الإمام عيسى بن موسى التطيلي، القضاء بالمرفق في المباني و نفي الضرر، تحقيق محمد النمينج، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، 1420 هـ/ 1999م، ص: 97.

[15]: المصدر السابق، ص: 108-120.

إذا كانت المدن الحديثة قد استحدثت أحياء صناعية بعيدة نسبيا عن السكان لتفادي الإضرار بالناس، فإن المدينة الإسلامية اتخذت قديما هذا الإجراء حيث منع الفقهاء في فتاويهم وأقضيتهم إقامة الحمامات والأفران والطواحين والمدابغ والحدادة...وسط الدور السكنية، وقد بنوا منعهم هذا على قاعدة دفع الضرر، وحددوا الضرر المتوقع من الصناعات في جملة أمور منها:[15]

- الدخان والغازات:

تنبه الفقهاء قديما ومنعوا إقامة المصانع وسط الدور السكنية لتفادي ما ينبعث منها من النفايات السائلة والغازية كالدخان الذي يطلقه الفرن لتذويب المعادن، والحمام لفادي ما يؤثر على الشروط الصحية والبيئية وسط السكان ويضر بهم.

- الرائحة الكريهة:

اعتنى العلماء المسلمون منذ القديم بما يؤثر على المجال البيئي بما في ذلك الروائح والدباغ إذا كان ذلك يؤذي جيرانه بريح دباغه ونتنه، يمنع من ذلك.

- الصوت المزعج:

ورد في الفقه المالكي منع إقامة الصناعات المحدثة للأصوات المزعجة وسط الساكنة، كمن يجعل في داره رحى يضر دويها بجاره.

- التسبب في تصدع الجدران:

ذهبوا الفقهاء إلى منع أن تتخذ الأرحية قرب الدور السكنية ملتصقة بهم إذا كانت تضر بجدران الحيطان[16]. وتبعا لهذه الأضرار إلى منع المتكاري لحانوت أن يجعل منها محلا لأمثال هذه الصناعات حيث ورد في المدونة الكبرى: " أن الرجل يكتري الحانوت من الرجل ولم يسم له ما يعمل فيها وعمل فيها الحدادة أو القصارة أو الطحانة...قال ابن القاسم: إذا كان ذلك ضررا على البنيان أو فسادا للحانوت فليس له أن يعمله"[17]. وبناء على هذه الأضرار المتوقعة من الصناعات أوجبوا إبعادها من السكان، وقرروا تخصيص مجال لها مع مراعاة أنواعها، لذلك عرفت أحياء في المدن العتيقة بأسماء مشتقة من الصناعة المتخذة فيها، كدرب الدباغين، ودرب العطارين، و الصباغين و الجيارين و الحدادين و النجارين...

– احترام نباتات الأفنية:

الأفنية وهي ما فضل عن المارة من طريق واسع نافذ وفي الغالب كان الناس يغرسون فيها بعض الأشجار والنباتات لتشكل مجالا أخضر يضفي بعض الجمالية على دورهم، وقد منع الفقه الاعتداء على هذه النباتات حيث "سئل ابن رشد عمن غرس في فناء رجل وردا واستغله فقام صاحب الفناء يطلب زوال الورد وقيمة ما اغتل، فأجاب ابن رشد بأنه لاحق للقائم على غارس الورد في الفناء على ما مضى من المدة لأن الأفنية ليست فيها حقية الأملاك وإنما هو مقدم في الانتفاع بها إن احتاج وليس له أن يمنع الجار إن استغنى عنه[18].

– عدم إقامة ما يؤثر على الجنان: بإحداث الأندر حول الجنان لأنه يضره بتبن التذرية كإحداث الحمام والفرن.

---

[16] : الإمام عيسى بن موسى التطيلي، مصدر سابق، ص: 121.

[17]: الإمام عبد السلام سحنون المالكي، المصدر السابق، ج 11، ص: 523.

[18]: الشيخ أبو عبد الله الحطاب، المصدر السابق، ج 5، ص:174 .

– الحفاظ على المجال الأخضر:

قال ابن حبيب المالكي:" الشعارى المجاورة للقرى والمتوسطة بينها لا يقطع الإمام منها شيئا لأنها ليست كالعفاء من الأرض التي لعامة المسلمين إنما هي حق من حقوقهم كالساحة للدور... لأن إقطاعها ضرر بهم في قطع مرافقهم منها التي كانوا يختصون بها لقربهم. والشعارى هي الشجر المختلط أو الأرض ذات الشجر. كما أنهم حرصوا على الحفاظ على نظافة ضفاف الأنهار وخلوها من أي بناء فصرحوا أنه "لا يجوز لأحد البناء على شاطىء النهر للسكنى ولا لغيرها إلا القناطر المحتاج إليها "[19].

وتعتبر النظافةَ العمومية قاسماً مشتركاً في قواعد العمران المديني وفنونِه لما لها من أهمية مركزية متعددة الأبعاد في الشؤون الحياتية الجمالية والعبادية والصحية والبيئية.

أما الركيزة الثانية في تحليل العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية في المدينة الإسلامية فهي تتجلى على مستوى **تطبيق الأفكار في التخطيط العمراني والحضري للمدن الإسلامية القديمة من خلال ثلاثة فضاءات أساسية هي:**

الفضاء الأول المدينة:

أ_ اختيار مواضع بناء المدن:

لقد اهتمت الحضارات القديمة كثيرا بالمدن وباختيار مواقع توطنها، وأسلوب تخطيطها، ومنها ما كان يرى سقراط بأنّ هناك مجموعة من الشروط أهمها:

- أن يكون الموقع معرضا للشمس.
- أن يكون مائلا لتصريف مياه الأمطار والمياه المستعملة.
- أن لا تكون مياهه قريبة من السطح وأن تكون تربته قوية.
- أن يكون محميا من الرياح السيئة الباردة.
- أن تتوفر فيه مياه جوفية كثيرة ونقية.
- أن تنبت فيه أشجار الزيتون وغيرها.[20]

ويظهر اهتمام المسلمين بتخير المواضع الملائمة عند انشائهم للمدن من اكتشافهم لعدمهم صلاحية موضع البصرة كمدينة يتجمع فيها جنود المسلمين وتدبير شؤون الحكم في فارس وذلك بسبب كثرة ما يحيط بها من مستنقعات مما جعلهم ينقلون مقر حكومتهم إلى الكوفة بعد سنة واحدة من تأسيس البصرة، بل اتخذ علي بن أبي طالب الكوفة مقرا للخلافة بدلا من المدينة المنورة أثناء خلافته، وذلك لتمتع الأخيرة بموضع جيد، وموقع جغرافي متصل بينها وبين المدينة.

وقد بلغ من اهتمام المسلمين بمواضع مدنهم أنّ الخليفة العباسي المنصور حينما شرع في بناء العاصمة الجديدة بعث رجالا يثق بهم لاختيار مكان صالح لذلك، فذلوه على موضع قريب على موضع بين الموصل وتكريت إلى الشرق من نهر دجلة.[21]

وهكذا تبلورت رؤية واضحة في الفكر الإسلامي عن الحفاظ على بيئة المدن من قبل مفكرين مسلمين اللذين حددوا الضوابط الواجب مراعاتها عند إنشاء المدن وفقاً لشروط دقيقة، ومن أشهر هؤلاء:

---

[19]: نفسه، ج 6، ص:12.

[20]: مرجع نفسه، ص: 9.

[21]: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد 1، ص: 230.

- **ابن خلدون الذي يرى أن شروط اختيار مواقع المدن هي كالتالي:**
  - أن تحاط بسور يدفع المضار .
  - أن تحتل موضعاً متمنعاً من الأمكنة، على هضبة أو على نهر أو باستدارة بحر ...الخ .
  - مراعاة اتخاذ الموقع الذي يتمتع بطيب الهواء للسلامة من الأمراض
  - جلب الماء، بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائه عيون عذبه
  - طيب المراعي لسائمتهم.
  - مراعاة المزارع ، فإن الزروع هي الأقوات.[22]
- **أما ابن الأزرق يوضح بأن جلب المنافع يكون بمراعاة أمور منها:**
  - توفر الماء .
  - طيب المرعى للسائمة وقربه.
  - قرب الم ا زرع الطيبة .
  - قربة من البحر لتسهيل الحاجة القصية من البلاد النائية .
- **أما ابن الربيع فقد حدد الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاء مدينة ما،** ذكرها في كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك " وأهم هذه الأسس فيما يلي:
  - أن يسوق إليها الماء العذب للشرب.
  - أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.
  - أن يبني في وسطها جامعاً للصلاة .
  - أن يقدر أسواقها بكفايتها.
  - أن يميز قبائل ساكنيها .
  - إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها.
  - أن يحوطها بسور.
  - أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها.

ويلاحظ مما سبق الرؤية البيئية الإسلامية في اختيار مواضع المدن ومتطلباتها خاصة في المياه والحماية من العوامل البيئية السيئة، وطيب الهواء، والمناطق الخضراء. فقد استطاعت المدن الإسلامية أن تحافظ على بيئتها، بتطبيقاتها لمبادئ مستمدة من التشريعات والأعراف والعادات والتقاليد وتراكم الخبرات، ولذلك ظهرت بيئة هذه المدن منسجمة ومتوازنة في استعمالات أراضيها وتلبية متطلبات ساكنيها الإنسانية والبيئية، رغم أن كثيرا من هذه المبادئ لم تكن مدونة وإنما يتعارف عليها الناس ويتوارثونها جيلاً بعد جيل ومنها:

- اختيار المواقع الصحية.
- الحفاظ على بيئتها من التلوث.

[22]: الشيخ أبو عبد الله الحطاب، المصدر السابق، ج 5، ص: 8.

- حق الأرض لمن أحباها وهذا ما أعطاها ديمومة.
- التراص والتضام في البناء.
- الخصوصية البصرية والسمعية وما تمثله المدينة بمبانيها وأزقتها المتدرجة الاتساع، وساحاتها من خصوصية تتدرج بها من العام وشبة العام وشبة الخاص والخاص.
- مراعاة النواحي المناخية إذ يتحدد قيمة المسكن بملاءمته البيئية، فالبيت الكامل جنوبي والنصف شرقي وغربي ولا يسمى البيت الشمالي التوجيه.[23]

ب– التخطيط العمراني لمواضع المدن:

تعتبر المدينة الإسلامية بنسيجها المتضام أفضل مثال على تطبيق مفهوم الاستدامة البيئية. فتخطيط المدينة ومعالجات مسارات الحركة من حيث العرض، والشكل، الطول، التوجيه، يمثل المرحلة الأساسية للتكيف مع البيئة. حيث يؤدى النسيج المتضام إلى تلطيف مؤثرات المناخ الأساسية والتخفيف من آثارها خاصة درجات الحرارة العالية والإشعاع الشمسي والرياح المتربة والحارة وبالتالي التخفيف من إجمالي الحمل الحراري المؤثر على واجهات الأبنية خاصة الوحدات السكنية. وحسب ابن أبي الربيع قامت المدينة الإسلامية على ثلاثة مبادئ تخطيطية رئيسية وهي:

- المجتمع: تحقيق متطلبات واحتياجات السكان، في ضوء حياة تعتمد على التعاون دون الإضرار بأي منهما.
- البيئة: توفير كل السبل والإمكانيات المتاحة لتحقيق بيئة مريحة وصحية للسكان.
- الاقتصاد: وذلك بتوفير الاستقرار الاقتصادي لسكان المدينة.[24]

لقد كانت الاعتبارات البيئية في مقدمة الاعتبارات التي أخذت في الحسبان عند تخطيط المدن الإسلامية الجديدة، أو عند التوسع العمراني حول المدن القائمة، أو عند تصميم المباني.

وإذا عدنا إلى صدر الإسلام، سنجد أنّ أهل المدينة المنورة اختاروا الموقع ذا الأجواء النقية لإقامة منازلهم، ففضّلوا السكنى في العالية، والقباء على السافلة، وهي الجهة الشمالية الغربية من المدينة، كذلك شيّدوا أوّل مسجد في الإسلام في قباء، ذات الموقع الطيب. وحينما هاجر الرسول إلى المدينة اختار منطقة فضاء، بعيدة عن المناطق السكنية، وتعطي التجار القادمين وإبلهم فرصة أكبر للحركة، وتحفظ البيوت من ضوضاء البيع والشراء وجلبة السوق، وما تسبّبه المخلّفات من روائح مؤذية أحياناً.[25]

فكان من سمات المدينة الإسلامية في المناطق الحارة والصحراوية اتباع ''الحلّ المتَضامِّ '' أي تقارب مباني المدينة بحيث تتكتل وتتراص وتتلاصق لمنع تعرض واجهاتها بلا داع للعوامل الجوية مثل أشعة الشمس المباشرة ورياح الخماسين المحملة بالرمال التي تؤدي إلى رفع درجة الحرارة داخل المباني[26].

كذلك توجيه الشوارع من المحاولات البارزة في التخطيط لمقاومة العوامل الجوية، فمن المدن ما وُجّهت شوارعها الرئيسية الكبيرة من الشمال إلى الجنوب حتى تكون عمودية مع حركة الشمس الظاهرية، وهذا ما يجعل الشوارع تكتسب ظلالا طوال

---

[23]: محمد أحمد سلام المدحجي، أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مرجع سابق، ص: 7-14.

[24]: عبد السلام أحمد سليمان، المدينة الإسلامية بين الحقيقة والتشويه، المجلة الدولية في العمارة والهندسة والتكنولوجيا، جامعة الأزهر، 1989، ص: 8-9.

[25]: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار النشر صادر، 1397هـ- 1993م، 348/5.

[26]: يحي وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص: 95

النهار، بالإضافة إلى اكتسابها الرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنة لوجود نسبة التظليل العالية فيها. وسارت كل المدن على هذا التخطيط خاصة مدن المناطق الحارة من العالم الإسلامية، فمعظمها ولا سيما الشوارع الرئيسية نتجه نحو الشمال. وفي المناطق الباردة تأخذ الشوارع شكلا عكسيا، فيغلب على الاتجاهات الاتجاهُ الشرقي الغربي لاكتساب أكبر قدر من الشمس طوال النهار، ولتجنب الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي تهب عليها طوال العام[27].

إضافة إلى ذلك فلقد كانت الشوارع والحارات تُخَطَّط متعرجة ضيقة لأن المساكن والقصور والمباني العامة تضم أفنية وحدائق تستقبل الشمس والهواء من ساحاتها الداخلية التي لا تجعلها في حاجة إلى الشارع الفسيح، فاقتصر اتساعه على ما يفي بمطالب المرور وغدو الباعة الجائلين ورواحهم. كما كان بتعرجه وضيقه يوفر مساحات ظليلة، ويتيح اختزان الهواء الرطب ليلا حتى يشيعه أثناء ساعات القيظ ملطفا من حرارة الجو على العكس من الشارع المستقيم الواسع كالبولفار الأوروبي المعاصر الذي تستبيحه الريح صباحا ومساء.[28] بينما ‘‘الأسواق المسقوفة (المظللة) غالبا ما كانت مستقيمة، ذلك أن السقف يؤمن الظل ويخفف من وصول الغبار.

إن تميز المدينة الإسلامية بالشوارع الضيقة المتعرجة، وبالبيوت ذات الأفنية الداخلية سمح بانتقال الهواء من خلال فتحات ومداخل المباني من الشوارع الضيقة الأكثر تظليلا (ضغط عالٍ) إلى الأفنية الداخلية المشمسة (ضغط منخفض)، خاصة أثناء فترات الظهيرة وتعرضها لأشعة الشمس. وقد أوضحت القياسات التي أجريت داخل فناء بيت السحيمي بالقاهرة الإسلامية أنه في فترة الصباح تكون حركة الهواء الغالبة آتية من مدخل المنزل الجنوبي بالدور الأرضي والذي يفتح على حارة الدرب الأصفر، وينتقل هذا الهواء عبر المدخل إلى الفناء الداخلي ومنه إلى التختبوش ثم الحديثة الخلفية بالجهة البحرية، وحركة الهواء هذه تنشأ بفعل التباين في درجات الحرارة وتصل سرعة الرياح أقصاها في التختبوش خلال ساعات النهار.[29]

ومن صور العبقرية البيئية في تخطيط المدن الإسلامية، ما فعله أبو جعفر المنصور في العصر العباسي، حين اختار موقع بغداد "المدينة المدوّرة". يذكر الطبري في "تاريخ الرسل والملوك" بأن الخليفة العباسي خرج إلى هذا الموقع وبات فيه، واستقصى الأمر من السكان، حول المناخ والبقّ والهوام، ووجّه رجاله أن يبيت كل منهم في قرية من القرى المحيطة ويعودون بأخبارها .

ويخلص ابن سينا في كتابه "القانون في الطب" إلى أن المساكن يجب أن تكون في ناحية المشرق، وأبوابها وشبابيكها باتجاه شرق الشمال، لتمكين الرياح الشرقية – وهي الأكثر نقاء وصفاء – من الدخول إلى الأبنية، وكذلك تمكين الشمس من الوصول إلى كلّ موضع فيها.[30]

الفضاء الثاني: التصميم البيئي للعمارة الإسلامية:

تتميز البيئة الإسلامية على العموم بالجفاف وانخفاض معدل الأمطار، وارتفاع شدة الإشعاع الشمسي، وارتفاع معدل الفاقد الإشعاعي ليلا، وبثبات نسبي في أنواع الرياح اليومية والموسمية، وفي تبني خط إنساني يكرس الشعور بالراحه للساكن، تبنوا أسلوباً في البناء متناغماً مع تلك المعطيات المناخية ومستفيدة منها، وذلك حسب الصيغ التالية:

---

[27]: محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، العدد، 128، سنة 1988، ص: 170.

[28]: ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، ط 1، 1994، ص: 64، 65.

[29]: يحي وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص99

[30] : سلامة أحمد علي، مرجع سابق، ص: 4-5.

- قللوا من بناء الأسطح الظاهرة من المباني بمراصفة البناءات في مجموعات وكتل للتقليل من معدل الانتقال الحراري.
- استفادوا من التراوح في درجات الحرارة باستعمال الطين أو الطوب في بناء حيطان سميكة.
- قللوا من عدد الفتحات، وبذلك حدوا من تبادل الطاقة مع الهواء الخارجي ومن تسرب وتجمع الغبار.
- عملوا صهاريج عميقة في الأرض لحفظ المياه.
- بنوا أفنية عميقة تحيط بها الغرف يتم تشجيرها، وكذلك الاحتفاظ بهواء الصباح البارد عدة ساعات والتقليل من تأثير الرياح المحملة بالأتربة وباستعمال الأسوار العالية والتي توفر قدراً من الظلال المرغوب بها.
- استعملوا (الملاقف أو البادكيرات) أو (البقدش) في الخليج.
- استعملوا السراديب التحت أرضية، التي ما أحوج العمارة اليها اليوم لتعدد وظائفها.
- استعملوا السقوف المقببة من أجل الزيادة من معامل الانتقال الحراري، ومسطحة بما يحتم شفطاً للهواء الساخن في أعلى القبة، وتستعمل في المناطق التي تسودها الرياح فتحات التهوية الطبيعية.
- خزنوا الطاقة في الحيطان والسقوف، وجعلوا التدفئة في الشتاء تتم في الحجرات المستعملة للسكن والنوم فقط من أجل الاقتصاد في الطاقة.[31]

وعلى هذا المبدأ فقد راعى المعمار الإسلامي في كل بيئة طبيعية ما يناسبها من ميراثها، وعلى العموم فقد بقيت الفناءات (الأحواش) نافذة التطبيق ومتعددة الاستخدامات والشيوع في البيئات الإسلامية، واستعملت السقائف للتظلل، وعني بغرس الأشجار في الحديقة التي تقع عادة شمال المبنى لتلعب صفة المصفى ضد الأتربة وتنظيم عملية البخر التي تضطلع بها الفسقية التي يبث خريرها وندى هوائها أجواء صميمة.

الفضاء الثالث: تحقيق الاستدامة البيئية في المسكن الإسلامي:

تنوعت العناصر المعمارية المستخدمة في المسكن الإسلامي لتحقيق الاستدامةالكاملة، نذكر منها ما يلي:

- **تصميم الفناء الداخلي.**

هو الحوش الداخلي أو المنور وسط مسطح المبنى يستخدم للإضاءة والتهوية، وقد يكون مغلقا أو شبه مغلق، ويعتبر الفناء الداخلي من أهم العناصر المعمارية التي ميزت العمارة الإسلامية، والذي يعمل على معالجة مشاكل البيئة بنجاح كبير، حيث يعمل كمنظم لدرجات الحرارة داخل المبنى ليلا ونهارا، من خلال توزيع الحمل الحراري داخل المبنى ليعطي مزيدا من الإحساس بالراحة الحرارية[32].

- **بناء ملقف الهواء.**

عبارة عن فتحات بالأسقف تمثل مداخل للهواء إلى داخل الغرف ليخرج من الفناء الداخلي لإتمام حركة الهواء، وقد استخدمت الشخشيخة ليخرج منها الهواء القادم من الملقف .وتكون الملاقف مائلة الأسقف مثلثة الجوانب ما عدا الجهة التي تواجه تيارات الهواء الذي ينحدر إلى الطابق السفلي، وكانت المظلة تميل بمقدار 45 °.

- **وضع المشربيات على الفتحات.**

---

[31]: علي ثويني، المنحى البيئي في العمارة الإسلامية، مرجع سابق. https://andalusiat.com/2016/09/29/

[32]: محمد أحمد سلام المدحجي، أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مجلة العلوم والتكنولوجيا، المجلد 15 العدد 2، 2010 م ع ت 7، ص: 11.

ظهرت المشربيات الخشبية بالعمارة الإسلامية وتمثل معالجة معمارية تسمح بدخول الرياح الملطفة، مع ضبط مرور الضوء حيث تخفف من حدة أشعة الشمس المباشرة وغير المباشرة. بالإضافة إلى ذلك فقد استخدمت مواد بناء محلية متوفرة في البيئة المحيطة للمسكن الإسلامي وذات ديمومة عالية، مثل الحجر والطوب، مع استخدام الجير والجبس، وبذلك يعمل على تخفي تكاليف البناء وكذا يمكن إعادة استخدامها وبذلك يتم تحقيق الاستدامة الاقتصادية بالمبنى، مع كون هذه المواد ذات سعة حرارية عالية تبعا لسمكها، والتي تعمل على تخزين الحرارة في وقت النهار ثم إعادة بثها إلى الفضاءات الداخلية ثانية في ساعة المساء وبذلك يتم تحقيق التوازن الحراري في المبني مما يعمل على توفير الراحة الحرارية الداخلية والذي يعمل على خف استخدام وسائل تهوية صناعية مثل المكيفات والمراوح، مما يعزز تحقيق المسكن الإسلامي.[33]

- خلق فضاءات متعددة الاستعمال، فالدار الإسلامية لا تتميز بفضاءات متعددة الاستعمال فحسب، بل إن العائلة كلها تنتقل من فضاء الى آخر بشكل موسمي، في الصيف تستغل العائلة الطابق الأرضي، وخصوصا السقيفة المحمية من الشمس، والواقعة فوق السرداب البارد، وهكذا انتفت الحاجة الى أجهزة التبريد التي لولاها ولولا التيار الكهربي لأصبح المكوث في البيوت الحديثة من ضرب المحال. [34]

وبذلك يتضح لنا مدى تحقيق المدينة الإسلامية للاستدامة سواء على المستوى البيئي أم الاجتماعي وكذا الاقتصادي.

استنتاجات:

من خلال ما سبق، نستخلص أن نشأة المدينة الإسلامية جاءت وليدة لرؤية عمرانية استراتيجية واضحة ارتكزت على عدّة مبادئ وضوابط، وتفاعلت عبرها مؤثرات محلية وخارجية، ساهمت في تطورها وأدائها الوظيفي. ولقد كانت الاعتبارات البيئية في المقدمة التي أخذت في الحسبان عند تخطيط المدن الإسلامية الجديدة، أو عند التوسع العمراني حول المدن القائمة. واستطاعت المدن الإسلامية أن تحافظ على بيئتها، بتطبيقاتها لمبادئ مستمدة من التشريعات والأعراف والعادات والتقاليد وتراكم الخبرات لذلك ظهرت بيئة هذه المدن منسجمة ومتوازنة مع ساكنيها.

وقد حرص المسلمون عند تأسيس المدن على اختيار الأماكن التي تلائم طبيعة السكان ومزاجهم، وتوافق طبيعة أبدانهم، وتكون في مواضع صحية خالية من الحشرات والهوام، غير موبوءة، ومناظرها مما ترتاح له الأنفس.

فقد اتسمت معايير تأسيسهم للمدن في مراحَلها الأولى بدرجة عالية من الانضباط المقاصدي في التصميم والبناء، وفي الجمالياتِ والبهاء، وفي الانتظام الوظيفي وفق الخطط الأساسية الموضوعة للتكوين المديني، كل ذلك كان من شأنه أن يؤثر إيجابياً على المزاج النفسي العام؛ والمحافظة على النفس والمال والنسل والعقل والدين في آن واحد؛ وهي لب المقاصد العامة للشريعة[35].

فالمتتبع لتاريخ بناء المدن الإسلامية يجد أنها بنيت بالأحكام والتي وضعت من قبل مختصين متعددي الغرض هدفهم: تحسين نوعية البيئة سواء كانت طبيعية أو مبنية، وبأحكام تتمثل في: **تنظيم الواقع البيئي، وتحسينه، تجنب حدوث ضرر بيئي، وإيجاد**

---

[33]: محمد أحمد سلام المدحجي، نفس المرجع، ص 12.

[34]: نفسه.

[35]: إبراهيم البيومي غانم (محرر)، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، 1438هـ/2017م.

حلول بيئية جديدة، وذلك بوضع تشريعات وقواعد فنية وتقنية في التصميم. وعليه فإن تحسين البيئة المعاشة هو المجال الشامل للأحكام.

ومن خلالها يتبين لنا أن المدينة الإسلامية كانت تحافظ على التوازن البيئي داخل وخارج المدن، زيادة على ذلك حافظت على وحدة ساكنتها الاجتماعية والنفسية من خلال عمارتها، واحترام أسلوب ونمط حياتهم، ومنظومة قيمهم.

المـــراجـــع:

1. إبراهيم البيومي غانم (محرر)، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، 1438هـ/2017.
2. ابن مغيث الطليطلي، المقنع في علم الشروط، تقديم وتحقيق فرانثيكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1994.
3. إدريس الشنوفي، معالم في التدبير العمراني للمدينة الإسلامية، 2010، https://islamstory.com/ar/artical
4. الإمام عيسى بن موسى التطيلي، القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر، تحقيق محمد النمينج، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1420 هـ/ 1999م.
5. السلام أحمد سليمان، المدينة الإسلامية بين الحقيقة والتشويه، المجلة الدولية في العمارة والهندسة والتكنولوجيا، جامعة الأزهر، 1989.
6. الشيخ خليل الميس مفتي زحلة والبقاع لبنان، البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، مظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة.
7. الفتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، الجزء 5.
8. ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، ط 1، 1994.
9. سلامة أحمد علي، العمارة الإسلامية من استقراء التراث العمراني إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامي المعاصر، مجلة العمارة والفنون العدد الاول-1-.
10. صحيح البخاري 1/ 226 رقم 2320. صحيح مسلم 3/ 1188 رقم 1552.
11. علي ثويني، المنحى البيئي في العمارة الإسلامية: https ://andalusiat.com/2016/09/29 /
12. عبد الرزاق وورقية، أثر الفقه الإسلامي في التهيئة العمرانية للمدن العريقة، 2012، موقع الألوكة، الرابط: https://www.alukah.net/
13. محمد أحمد سلام المدحجي، أهمية التشريعات والمعايير التخطيطية في الحفاظ على البيئة الحضرية، مجلة العلوم التكنولوجيا مجلد 15 العدد 2، 2012.
14. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، العدد 128، سنة 1988.
15. مصطفى كامل الفرا ، و م .شيماء جهاد الهسي، تخطيط المدن بين المضمون الإسلامي والمضمون الحديث، دراسة مقارنة، ص 123 IUG Journal of Natural and Engineering Studies Vol.21, No.1, pp 123-159 2013, ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

16.كتاب الخراج، باب في إحياء الموات.
17.ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار النشر صادر، 1397هـ-1993م، 348/5.
18.يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، سلسلة كتب عالم المعرفة، عدد يونيو 2004، الكويت.